استعمار الهند

تعريب عن المجلة الزرقاء الفرنسوية

احدثت الثورة الطارئة في الهند الاخيرة [illegible] مقاومة حكومتهم قلقاً وهلعاً وذلك ان الثورة تضطرب لظاها اعصاب الامبراطورية الهندية والقوم هنالك يدعون الى الاستقلال جهاراً حاملين العلم الاحمر ويقوم الدعاة من كل مكان يوقدون جذوة الغضب والحرب ولا يستنكفون من ارتكاب كل منكر من قتل النفوس واهراق الدماء.

قويت هذه الحركة ونمت دون ان يعيرها احد [illegible] لانه لم يهتم بها احد في مبدإها لقوة امرها ولانها [illegible] مع رجال البوليس في الهند. ولكن الآن جمهور موظفي الحكومة الانكليزية [illegible] على جانب من [illegible] الوجدان والعلم والتهذيب والاختبار الا انهم لم يحسبوا لهذه الحركة حسابها وتركوها في [illegible] على ما عرفوا به من الذكاء ان [illegible] ارتكبوا [illegible] خطأ فاحشاً. والوقوف على الصلات الحادثة بين الحكام الانكليز والمحكومين الوطنيين من المسلمين يجب ان [illegible] التي قامت عليها الادارة البريطانية في [illegible] جريدة المذكورة تقول:

ان الهند اوسع من اوربا [illegible] مساحتها [illegible] كيلو متر مربع وسكانها ٢٦٦ مليوناً (١) [illegible] من الناس ما كانوا ولن يكونوا امة واحدة. قال اللورد ايلي: كل من اراد ان يحكم على امرئ بالحكومة التي تحكمه والبلاد التي يجهلها لا يكون حكمه الا باطلاً اذ يجهل بذلك حالة الطبيعة الادبية وجنسه وحالته الاجتماعية واخلاقه وعاداته فدرس طبيعة الحكومة التي تحكمه لا يفيد شيئاً في معرفة نفسه لان الحكومة نتيجة احوال حادثة وتدبير وقتي اه.

لما استولى الانكليز على الهند [illegible] دولة المغول ورفع عن كاهل رعاياها نير الفرنسيس لم يجدوا امامهم حكومة وطنية في البلاد ولا جماعة اجتمعوا لتقرير مصيرهم [illegible] المصلحة [illegible] بل رأوا هنا وهناك عصابات [illegible] الشأن [illegible] الحال [illegible] ملتصقة الاجزاء تجمع تحت لوائها ملايين من الناس في [illegible] الالوان [illegible]

(١) ان مساحة [illegible] اليوم وحدها ٢٦٠ الف كيلو متر مربع وليس فيه من السكان سوى ثلاثة ملايين

[illegible] ولم تقع هذه العدوة من الحكومة [illegible] والعرك وغيرهم [illegible] .

ومع [illegible] عن كل جماعة [illegible] الى يوم الناس هذا لم [illegible] من جبال هملايا الى رأس كومورين [illegible] لا يوصف [illegible] غرض سياسي ولا الى غرض [illegible] (١) لم تكن [illegible] لا تهمهم السياسة [illegible] في البلاد [illegible] الناس على [illegible] .

[illegible] في الهند الحكومة [illegible] على ان لا يعيروا الحقلات [illegible] في [illegible] .

[illegible] من [illegible] البلاد في [illegible] الصورة

(١) [illegible]

التي جرت عليها شركة الهند الشرقية سنة ١٧٧٣ واستصدرت بها قانونا من مجلس النواب انقسمت الهند اولاً الى ثلاث ولايات بنغال ومدراس وبومباي دعوها رئاسات presidence لان ادارتها كانت بيد مجلس ينشر القوانين ويعقد القرارات وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر وهو دور الحروب والفتوحات الثانية رأت انكلترا من الضرورة ان توحد الادارة السياسية مع الادارة الحربية القريبة كل منها فعينت سنة ١٧٧٣ بولاية الهند حاكما لبنغال بحيث يكون له التقدم على حاكمي مدراس وبومباي ولكن ولايته اسمية لا فعلية فاستقلت الولايات الثلاث تضيع الوقت في الاخذ والرد والادارة مختلفة الاساليب لا ترجع الى مبدأ تام شملها حتى اذا كانت ثورة السيباي سنة ١٨٥٧ وهي التي كادت تخرج انكلترا من الهند وضعت الحكومة صورة ادارة كانت اساسها الامبراطورية الهندية وهو عمل اداري لم توفق اليه امة ولم يخطر ببال خاطر حاكم .

قسمت اراضي الهند الى طبقتين جوهريتين اراضي السلطة البريطانية اي البلاد التي تحكمها انكلترا مباشرة وهي عبارة عن ولايتي مدراس وبومباي اللتين بقيتا في ما كانتا عليه في حدودهما وولاية بنغال والهند [illegible] كلكوتا [illegible] عاصمة الهند وقسمت الى ثماني مقاطعات فاصبحت [illegible] الاقاليم . والطبقة الثانية امارات الوطنيين التي تركت تحت سلطة الراجات الاسمية او الفعلية فقسمت الى قسمين في وضع الحماية الانكليزية عليها وبذلك صار الحكم لولاة [illegible] والراجات وحكومات الولايات والامارات الوطنية

وحاكم الهند او نائب الملك يعاونه مجلس مؤلف من ستة وزراء هم معاونون وفي بعض الاحيان ولا سيما [illegible] من القوانين يضطر الى اخذ آراء المجلس وله الحرية ان يعمل بها او يرفضها وهؤلاء الوزراء يشبهون من وجوه كثيرة وزراء لويس الرابع عشر لاوزراء [illegible] السابع وهم وزير الداخلية والخارجية والمالية والمعارف والتجارة والحربية والعدلية والاشغال العمومية ويحق لوالي مدراس وبومباي ان يحضرا في المجلس عضوين فوق العادة وهذا المجلس الوزاري يجتمع في المكان الذي ينتخبه الحاكم العام [illegible] العاصمة ويضاف الى هذا المجلس بعض الاعضاء ليصبح مجلسا [illegible] ويكون نصف هؤلاء الاعضاء الاضافيين من الاهالي الذين [illegible] ان لا يكونوا من موظفي الحكومة [illegible] للحاكم العام فلذلك صبح العنصر الرسمي في هذا المجلس اكثر

من العنصر الاهلي وهذا العنصر قليل العدد . اما الاحكام ومعاونته السياسية في الاقاليم

اما المجلس التشريعي فله سلطة واسعة لا تقف عند الامتيازات التي للبرلمان البريطاني وحقوق السلطة الانكليزية والقانون . قراراته تعد ما يصدق عليها حاكم الهند . وهذه الطريقة التي تسهل احالة السلطة الاجرائية الى السلطة التشريعية تحل مسألة تقسيم الادارة على اسس حديثة في حين انها وحدة الآراء والاميال

وفي مجلس النواب كما في مجلس الوزراء يعمل كل عضو بالنسبة للمصلحة العامة وينظر في المسائل التي تعرض عليه نظرا [illegible] ويعطي رأيه حرا والموظفين [illegible] بالنظام [illegible] كل الرضاء

ويعهد الى الحكومة العامة النظر خاصة في المسائل المشتركة كالديون العمومية والجمارك والرسوم الاميرية والمواصلات (البريد والبرق والسكك الحديدية والاوراق والاموال) والسلاح والعلاقات الخارجية والحقوق الادبية وغيرها [illegible] السياسة التي تختارها [illegible] المنافع العامة والخدم [illegible] العامة والصحة ومحافظة النظام الدستوري اما ولاة الاقاليم فلكل منهم مجلس خاص ومجلس تشريعي لا يسري حكمه على احكام الحاكم العام كما كان هذا الاعتماد [illegible] الامبراطورية وسلطتها ذلك الحكومة [illegible] وهذا [illegible] ان [illegible] ويخاطب واليا مدراس وبومباي [illegible] الولايات المتحدة [illegible] الولايات ادارتها ترجع الى ولاة [illegible] من الاهالي [illegible] ويختار من الموظفين [illegible] في الهند على الاقل وهم يطيعون كحكومة في شؤونهم واكثر في الامور الادارية ولهم سلطة كسلطة والي مدراس وبومباي [illegible] اكثر [illegible]

اما الجيش فيتألف من جنود بيض من الاوروبيين والسود من الاهالي [illegible] الامبراطورية [illegible] الانكليزي ومن حيث مساعدته الامارات الوطنية للسلطة [illegible] الآن [illegible] من الجيش العسكري الانكليزي [illegible] الاهالي [illegible] الجيش [illegible] [illegible] الجيش [illegible] من [illegible]

له بالتدريب الحربي وليس لديه سلاح منظم وان الاثنين والثلاثة من جيشنا مع بطارية خيالة تمزق شمل خمسين الفاً من مثل هؤلاء الخاربين ومجموع هذا الجيش العامل وقدره سبعمائة الف مع الجيش الاحتياطي هو عبارة عن تخييل يزول كالسراب او كالدخان عند مداهمة الخطر

وتقسم كل ولاية وارداتها مع الولايات العامة على نسبة محدودة وتقوم بدفعات القضاء والمعارف والاشغال العمومية واعانة البائسين ولكل ولاية الحق في ان تستلف نقوداً على واردات خمس سنين تصرفها في الطرق التي تراها نافعة لعمران ولايتها وتقتصد ماتشاء وفي الهند اربع محاكم عالية في بومباي وبنغال والشمال الغربي ومدراس تميز اليها احكام الدعاوي المدنية والجزائية وينتخب اعضاؤها من قبل السلطة الانكليزية ويقبض كل عضو من مئة الف الى مائتي الف فرنك راتباً سنوياً وفي كل حاضرة ولاية محكمة استئناف ومحكمة جزاء تقابلها محاكم المقاطعات ويعمدون تارة الى استعمال قانون البلد واذا وقع اختلاف بين اوربيين من رعايا انكلترا يطبقون عليهم القانون الهندي واحياناً قانون الجزاء الانكليزي الهندي

ومأمورو الادارة الملكية عبارة عن ٧٦٥ موظفاً فيكون بذلك موظف واحد لكل ربع مليون ساكن وتحت ايديهم صغار الموظفين من الوطنيين (١) ومن مبدأ انكلترا في الهند ان تبقى جميع الوظائف الكبرى في ايدي الاوربيين وتعمل حزماً معاً منها الوطنيين ولا ترى الحكومة ان تقبل احداً من رعاياها الهنود وتجعله انكليزياً في حسبتهم وهم يهزأون من فرنسا التي جعلت رعاياها في بوندشيري بحسبها واعطتهم حق الانتخاب لارسال نواب واعيان .

اما الامارات الهندية المستقلة فهي منقسمة الى طبقتين تقريباً في الاولى السلطة الانكليزية عليها ومنها الامارات الاسلامية التي تركت وشأنها لان ذلك اقصد في الثقة عليها ولكن حاجتها الى الزوال لادنى اشارة تصدر من الحاكم العام ثم ان امراء تلك الامارات الاسلامية هم غرباء ويدينون بدين يكرهه السواد الاعظم من

(١) في الهند ٢٥٠٠ موظف وطني يقبضون مسانهة من ٢ آلاف الى ٢٥ الف فرنك فيكون عدد الموظفين الوطنيين الذين يقبضون من ٣٠٠ فرنك الى ٤٠٠٠ فرنك بنسبة ٩٠ في المئة

رعاياها ويكفي لتحقيق ذلك ان في مملكة حيدر آباد الدكن (١) تسعة ملايين من البراهمة لقاء مليون من المسلمين وفي سائر الممالك المستقلة (٢) خمسون مليونا وهي امارات كواليور واندور وبارودا فليس لها من الحرية الا الاسم لان امراءها لا دخلاء عليها . اما ممالك الطبقة الثانية من الوطنيين فتختلف عن هذه كثيراً ومن هذه الممالك ميزور وراجبوتانا وترافنكور وجيبور وجودبور ... الخ وكلها من البراهمة ولكن العادة الموروثة فذلك لانهم كانوا الى عهد قريب خاضعين لامراء البيض والمغوليين ولذلك نرى تلك الحكومة من الحكمة ان تطيق مطالبهم والبلاد الخاضعة لها ولكن لا تركن اليهم الا قليلا لان حارس مستبق من الانكليز في الهند او نواب المدن تجارب وسلام قدمه ، القوة وما من بلاد تقاصت سوقها وحالتها الضعيفة والراحة مثل الهند البريطانية ومن حيث شدة الحكومة بكر نظام الهند كما [illegible] ماخوذ سبيل حاربه . وتقسم درجات التعليم في البلاد الى ابتدائي ووسط وعالي وهو التقسيم المفيد من ذلك النظام الانكليزي الهندي القديم

ان من يسكنون البلاد الواقعة بين نهر الاندوس وشاطئ كوروماندل ويطلقون عليهم اسم الهنود يجب ان يعدوا من الشعوب التي تشعر من القريب وتعاديه شأن كل الشعوب التي لها تاريخ الذي والتقاليد معروفة وتمدن خاص بها وهذا يصدق على الانكليز كما من البراهمة كما يصدق على الاهلية من المسلمين البراهمة يرون من واجباتهم الا يحيدوا عن تعاليم الاوهام القدامى التي يتلقونها بالارث وتعليمهم الفروض الاجتماعية والعائلية والدينية التي تصدر عن احكامهم وان جزءا من هذا الشعور ليتعلمه الطفل بالفطرة والتقليد والآخر يحصله في مدرسة قريته او يأخذه عن رئيسه الديني مع ما يأخذ من آداب امه ويتلقاها [illegible] الصيغة والصلوات ولا سيما صلاة العشاء [illegible] السامي من هذه الشمس ينتج كل موجود في الوجود التي تشهد [illegible] نور [illegible] السماوات .

اما التعليم الحديث فان رئيس الاسرة يدفعه عن اسرته متخوفا شعر ما كان يشعر لاوكوت من هذا البرهان [illegible] ولذلك يجري البراهمة ان يحولوا [illegible]

(١) مؤسس هذه الدولة هو من نسل [illegible] نظام الملك [illegible] الذي خلص سنة ١٧٢٤ من سلطة المغول وعاصمة مملكته حيدر آباد وهي الكبرى [illegible] جهة الهضبة [illegible] (٢) عدد هذه الامارات عشرون امارة وهي ما عدا مملكة بهوبال و[illegible] لا شأن لها من حيث السياسة ودخلها ١٢٥ مليون فرنك

للفلسفة وأكثر [illegible] من الامور التي يحملها [illegible] المدرسة من شيئاً
جديداً في نظرتهم [illegible] في البيت [illegible] والمدرسة الانكليزية فهي عدوتكم

وفي هذا [illegible] انكلترا في سياسة التعليم التي تجري عليها من البراهمة لانها لا تستطيع ان تعلم التعليم الاوربي الا اذا اصرت بمعتقداتهم الدينية ومعتقدهم هو وطنيتهم وهي لا تريد ان [illegible] انكلترا اضطرت سنة [illegible] الى ان تجيب مطالب [illegible] الف رجل اجتمعوا في [illegible] يتهمون [illegible] في الرسوم التي تريد وضعها في البيوت وعزموا ان [illegible] او يجبروا الحكومة الى الغاء هذه الرسوم فأطاعتهم مكرهة مخافة ان يحدث [illegible] اذا عادت روح الاضطراب وسرت في اعصاب مائتي مليون رجل لمقاومة سياسة التعليم [illegible] بريطانيا

ولم تر انكلترا [illegible] من [illegible] بالتدريج الى ان تعلم [illegible] في عاصمة [illegible] البريطانية وتشربهم حب الانكليزية [illegible] ان لا يحيدوا عن جادة الاخلاص لها [illegible]

والمسألة لا تخلو من [illegible] الطبقة العالية من المسلمين فقد جاء في احد التقارير [illegible] الاسباب الاجتماعية والشريعة في الشعب الاسلامي في [illegible] ان لها علاقة بشريعتهم التي تؤثر في حياتهم . [illegible] يجب [illegible] ان يكون [illegible] دروس المدرسة ولا يتيسر احد الطلبة من المسلمين [illegible] في مدرسة يتعلم فيها اللغة العربية والفقه الاسلامي ولكن تعليم المدرسة الدينية يقوده الى ان يحتقر [illegible] المسلك والاخلاق . وقد ايدت التجارب هذه الملاحظة [illegible] في حب [illegible] قليلاً في المسلمين في الهند وطفقوا يقاومون التعليم الانكليزي كل المقاومة [illegible] الحكومة الانكليزية بان [illegible] ورأت انكلترا ان [illegible] الطبقة العالية من [illegible] الاوهام الدينية [illegible] الادارة والقضاء والتعليم وقد رأى [illegible] سنة [illegible] الهند الا من الواجب تعليم اللغة الانكليزية في مدرسة [illegible] من ارباب الطبقات [illegible] التربية الانكليزية من الاهل الى الادارة [illegible] من ذلك ان تأخذ [illegible] البلاد من الموظفين من اهل البلاد انفسهم

وفي سنة ١٨٥٤ انشأت انكلترا ديوان المعارف العمومية فعنيت بادخال اللغة (الانكليزية) الى مدارس بنغالة وبلادس وانشأت مدارس الوطنيين مع محافظتها على صفاتها الخاصة وفي سنة ١٨٥٧ اثمرت البذرة التي وضعها اللورد ماكولي في تربة الهند فاسست ثلاث كليات في كلكوتا وبومباي ومدراس على مثال الكليات الانكليزية فيها انواع الراحة والرفاهية وتدرس فيها الدروس التقليدية وانشئت في حاضرة كل مقاطعة مدرسة عالية وفي المدن الصغرى مدارس وسطى ثم انشئت كليات لاهور لاقليم بنجاب والله آباد لاقليم الشمال الغربي وساغ للمتخرجين من تلك الكليات ان يندرجوا في المراتب مثل من تخرجوا من كليتي اكسفورد وكمبردج

تخرج من تلك الكليات اناس من ارباب الذوق والادباء والمشرعين وقل في المتخرجين العلماء اذ لاحظ السير هنري مين ان مثل الهندي المستعد الميول ماحياً وطالب من المعارف هو محروم مما يتصور من قياس مدقق لحقيقة فالهندي يجيد التكلم والكتابة والتفكر الدقيق ولكنه متوسط الاستعداد للحساب والارقام واصبحت الحكومة تبعث الى لندرا بارقى طبقة من متخرجي كليات الهند ليكونوا نموذجاً على اشغالها ورموزاً لمن تبعتهم بمطامعها فكانت تكرم وفادتهم في لندرا وتفتح لهم الوانهم السمراء وتناسب اعضائهم وعيونهم التي تقدح شرراً وقاماتهم القصيرة وحركاتهم المتناسقة وامرجتهم الشديدة عن ان يستميلوا قلوب الناس اليهم ونالوا من الكرم البريطاني انواع الرعاية والعناية وفتح الانكليز لهم ابواب دورهم الاثيلة الشريفة كأن كل فرد منهم كان اميراً خطيراً ووطنياً كبيراً فاخذوا بما شاهدوا وتكلموا على اجمل اسلوب وعاشوا عيش الوطنيين الانكليز وقدروا حق قدره كل ما في الوطنية من الاحترام والامن والشرف والاستقلال العالي

فكانوا يتعاشرون ويتسامرون ويتطارحون في المجالس الى من يحطهن من الآنسات الفتيات الشقر البيض ويلعبون معهن انواع الالعاب المألوفة والرياضات الانكليزية النافعة وكانوا في جميع احوالهم مثال اللطف في البستهم والترتيب في قبعاتهم حتى اذا تموا دور التمرين التي كان كل يوم منها البشاشة للمستقبل وتشبعوا بهواء الغرب وتبطنوا اسرار فلسفة هربرت سبنسر وشوبنهور وبنفش وخفقت افئدتهم بما عملت وتلبس شعورهم بالبدائع وحشيت عقولهم بخطب مجلس النواب الانكليزي — يركبون البحر عائدين الى بلادهم بلاد الشمس والحرية يحملون اجمل ذكرى عما رأوه وفي صناديقهم

واصولهم الاوربي الطبية والزهرات الثابتة وقطع من الشريط وبعض الفساتين يؤيدون والكبر احد منهم وبعد محيطهم الوهمي يختفي ويرجعون الى سابق اوهامهم واخادم في الادارة الانكليزية التي يؤثر فيها كثرة تقليدهم بالزي الحديث

ولقد شاعت اللغة الانكليزية بين امراء الهند حتى صارت لغرابة لغة الاسرات في الغرب يتكلم بها الاولون ولا من احساس عظيم واصحاب مجلات متبارية بالتكلم باللغة الانكليزية والجاكرتية والتجارة والسياسة والبلاغة والهندسية والاكالية والتاموليه وغيرها من لغات الهند يحدثون الانكليزية كاهلها وهذا ما حدا بالانكليز ان يضاعفوا مدارسها وكتابتها وكمالها ثم رأت من الحكمة ان تعود على العصر الاسلامي فاعطت له مكانته والتالي من مكانة العصر الرومي فزاد ذلك الواقعة قوة واخذوا يلادون في اسرهم وغيرهم « الهندوكيين » واراد محاربة الانكليز حرباً اقتصادية لم يكن من ابائه جلسوهم الناس يكسون الفقير في هذه المعارك لم يسعهم الا ان يلجئوا الاجانب اكل الانكليز هو الشعب الذي يحاول ان يخالف الانكليز في كل مكان هم الذين مضوا يضعون الهنود باسم الوجه عندهم من الات اللطف وصناديق الشاي واكياس القهوة ويلبسون كل بناء صورة هذا منشئ

ثم حدثت مشاغبات وقتل وقتل رجال الثورة بعض اعضاء الحكومة ولم يسع انكلترا الا ان تعطي الهند نظاماً جديداً مصبوغاً بالصبغة الديموقراطية اكثر من ذي قبل واشتركت الهنود في سياسة الادارة واستعملت انكلترا الرفق فيمن دعوا الى الثورة من رجال الصحافة والخطابة وكان من اشهرهم من وصيا وغاندي ... اكبر مقر فسم الهنود عن نوع الحيوية من حكومتهم ... ان بريطانيا ... ان تشتد عليهم فقد تحركت الوساطة وادركوا ... عندما رأوا زعماءهم ... الاحرار الذين حرروا الحكومة المهزومة من السلطة الاستبدادية كل هذا يصادق على شكل الهند مقالة احد المفكرين من رجال السياسة الانكليزية سيبقى الشعب الهندي في الدوام خاضعاً تابعاً بالماضي غير محسوس بالقرب الا مساً خفيفاً وتجارة الحرية ... هو من الفلاط والحرة.